ذكره به توطئة وتمهيدا لذكر فضله فإن قلت هل للاقتصار بخادعت على واحد وجه صحيح
قلت وجهه أن يقال عنى به فعلت إلا أنه أخرج في زنة فاعلت لأن الزنة في أصلها
للمغالبة والمباراة والفعل متى غولب فيه فاعله جاء أبلغ وأحكم منه إذا زاوله وحده من
غير مغالب ولا مبار لزيادة قوة الداعي إليه ويعضده قراءة من قرأ يخدعون الله والذين
آمنوا وهو أبو حيوة ويخادعون بيان ليقول ويجوز أن يكون مستأنفا كأنه قيل ولم يدعون الإيمان
كاذبين وما رفقهم في ذلك فقيل يخادعون فإن قلت عم كانوا يخادعون قلت كانوا يخادعون
عن أغراض لهم ومقاصد منها متاركتهم وإعفاؤهم عن المحاربة وعما يطرقون به من سواهم
من الكفار ومنها اصطناعهم بما يصطنعون به المؤمنين من إكرامهم والإحسان إليهم وإعطائهم
الحظوظ من المغانم ونحو ذلك من الفوائد ومنها اطلاعهم لاختلاطهم بهم على الأسرار التي
كانوا حراصا على إذاعتها إلى منابذيهم فإن قلت فلو أظهر عليهم حتى لا يصلوا إلى هذه الأغراض
بخداعهم عنها قلت لو أظهر عليهم لما أحاط به علما من المصالح التي لو أظهر عليهم لانقلبت مفاسد
واستبقاء إبليس وذريته ومتاركتهم وما هم عليه من إغواء المنافقين وتلقينهم النفاق أشد من
ذلك ولكن السبب فيه ما علمه تعالى من المصلحة فإن قلت ما المراد بقوله وما يخادعون إلا
أنفسهم قلت يجوز أن يراد وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين إلا أنفسهم
لأن ضررها يلحقهم ومكرها يحيق بهم كما تقول فلان يضار فلانا وما يضار إلا نفسه أي
دائرة الضرار راجعة إليه وغير متخطية إياه وأن يراد حقيقة المخادعة أي وهم في ذلك يخدعون
أنفسهم حيث يمنونها الأباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها به وأنفسهم كذلك تمنيهم وتحدثهم بالأماني
وأن يراد وما يخدعون فجيء به على لفظ يفاعلون للمبالغة وقرئ وما يخدعون ويخدعون
من خدّع ويخدعون بفتح الياء بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على لفظ ما لم يسم فاعله
والنفس ذات الشيء وحقيقته يقال عندي كذا نفسا ثم قيل للقلب نفس لأن النفس به
ألا ترى إلى قولهم المرء بأصغريه وكذلك بمعنى الروح وللدم نفس لأن قوامها بالدم وللماء
نفس لفرط حاجتها إليه قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي وحقيقة نفس الرجل

بمعنى

يعني من أصيبت نفسه كقولهم صدر الرجل وقولهم فلان يؤامر نفسيه إذا تردد في الأمر
واتجه له رأيان وداعيان لا يدري على أيهما يعرج كأنهم أرادوا داعيي النفس وهاجسي النفس
فسموهما نفسين إما لصدورهما عن النفس وإما لأن الداعيين لما كانا كالمشيرين عليه والآمرين
له شبهوهما بذاتين فسموهما نفسين والمراد بالأنفس ها هنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم
أن الخداع لاصق بهم لا يعدوهم إلى غيرهم ولا يتخطاهم إلى من سواهم ويجوز أن يراد قلوبهم ودواعيهم
وآراؤهم والشعور علم الشيء علم حس من الشعار ومشاعر الإنسان حواسه والمعنى أن لحوق ضرر
ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم
عذاب أليم بما كانوا يكذبون واستعمال المرض في القلب يجوز أن يكون حقيقة ومجازا فالحقيقة
أن يراد الألم كما تقول في جوفه مرض والمجاز أن يستعار لبعض أعراض القلب كسوء الاعتقاد و
الغل والحسد والميل إلى المعاصي والعزم عليها واستشعار الهوى والجبن والضعف وغير ذلك
مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض كما استعيرت الصحة والسلامة في نقائض ذلك والمراد به هنا
ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر أو من الغل والحسد والبغضاء لأن صدورهم كانت تغلي
على رسول الله صلى الله عليه وآله والمؤمنين غلا وحنقا ويبغضونهم البغضاء التي وصفها
الله في قوله قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ويتحرقون عليهم حسدا
إن تمسسكم حسنة تسؤهم وناهيك بما كان من ابن أبي وقول سعد بن عبادة لرسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم اعف عنه يا رسول الله واصفح فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك ولقد
اصطلح أهل هذه البحيرة أن يعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاكه شرق
بذلك أو يراد ما يداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور لأن قلوبهم كانت قوية إما
لقوة طمعهم فيما كانوا يتحدثون به أن ريح الإسلام تهب حينا ثم تسكن ولواءه يخفق أياما
ثم يقر فضعفت حين ملكها اليأس عند إنزال الله على رسوله النصر وإظهاره دين الحق على الدين كله
وإما لجرأتهم وجنانهم في الحروب فضعفت جبنا وخورا حين قذف الله في قلوبهم الرعب
وشاهدوا شوكة المسلمين وإمداد الله لهم بالملائكة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

جامعة الرياض
المكتبة المركزية - قسم المخطوطات

Copyright © King Saud University